

تطوع الشباب للخدمة الاجتماعية

للأستاذ كمال الدين فهمي

وكيل ادارة الخدمة الاجتماعية بوزارة الشؤون الاجتماعية

أريد أن أتحدث في هذه المقالة عن ناحية من نواحي نشاط الشباب في ميدان الخدمة الاجتماعية ، وهي ناحية التطوع لهذه الخدمة — وأقصد بالتطوع تقدم الشباب باختيارهم للقيام بخدمة اجتماعية كالتطوع لإصلاح الأحداث أو إرشاد الطبقات الفقيرة إلى ما يؤدي إلى الترفيه عنهم وإسعادهم — هذا التطوع جميل في حد ذاته إذ هو تلبية لنداء إنساني وروحي يدفع المتطوع إلى عمل الخير ، على أن هذا التطوع لا يؤدي ثمره إلا إذا دخل المتطوع ميدان الخدمة الاجتماعية بجان ثابت ودون تردد أو اندفاع ، لأن التردد يقتل العزيمة ويفسد الرأي ، والمصلح الاجتماعي يجب أن يكون قبل كل شيء ، وانقا من نفسه ومن نجاحه في أداء رسالته ... أما الاندفاع فهو المعول الذي يهدم كل شيء ويحول دون إحراز أي نجاح . وان أشد ما أخشاه على المتطوعين في أعمال الخدمة الاجتماعية في مصر أن يتقدموا إليها وهم يشتملون حماسة في أول الأمر ثم تفتت هذه الحماسة تدريجيا حتى تتلاشى كالنار في المشيم ، يبدأ اشتغالها في قوة ثم لا تلبث أن تنطفئ وتذرو الرياح رمادها ، تراهم يريدون أن يصلحوا كل شيء دفعة واحدة ولكنهم يفشلون فشلا تاما فلا يستطيعون إصلاح شيء واحد ، بل انهم ليعجزون عن إصلاح أنفسهم .

ولعل شباب مصر يوافقوني إذا قلت إن هذا النوع من التحمس كثير الانتشار بيننا حتى قيل هنا إننا أمة قوية الاندفاع ضعيفة المثابرة ، أي أننا نبدأ دائما بداية طيبة في مشروعاتنا ثم نقف بها في منتصف الطريق ... أو قبل منتصف الطريق .

فإذا وثق المتطوع من نفسه ودخل ميدان الخدمة الاجتماعية بتقدم ثابتة ومن غير اندفاع وجب أن يستوثق من أنه على علم بأعمال الخدمة الاجتماعية التي يتقدم لأدائها ، وإذا لم يكن عالما بها فليدرسها أولا ، فأعمال الخدمة الاجتماعية كغيرها من الأعمال تتطلب الدرس والمرانة حتى يستعد المتطوع ليقوم بخدماته خير قيام ، ويتقى شر الزلل ، إذ كثيرا ما يبس المتطوع إذا لم تكن له دراية بعمله حيث يريد النفع ، وأن يتلف حيث كان ينبغي الإصلاح .

والتطوع خلاص إذ قد يلوح أنه وسيلة سهلة لأداء الأعمال الاجتماعية بأقل نفقة ، لكن يجب أن نذكر دائما أنه لا يمكن لعمل اجتماعي مستمر أن يقوم على أكتاف المتطوعين وحدهم فالمؤسسات المختلفة مثلا ، التي تسعى إلى رفع مستوى طبقات الشعب والترفيه عنها ، يجب أن تعتمد أولا على الاختصاصيين الذين درسوا مسائل الخدمة الاجتماعية دراسة علمية وعملية واتخذوا منها مهنة كأي مهنة أخرى ، ومهمة المتطوعين والمتطوعات في هذه الحالة هي أن

يساهموا بجهودهم في مثل تلك المؤسسات ، أما الاعتماد على المتطوع وحده في السير بتلك المؤسسات فقصيره الفشل منهما حسنت فيه نية المتطوعين .

ولقد سبقتنا جميع الدول المتقدمة الى فهم هذه النقط المهمة ، ولذلك نراها تسند أعمال الخدمة الاجتماعية التي تحتاج الى عمل مستمر الى إخصائيين اتخذوا الخدمة الاجتماعية مهنة لهم وتشجع في الوقت نفسه المتطوعين والمتطوعات الذين توفروا على درس هذه الأعمال وخبروها ، على أن يساهموا بنصيب فيها في أوقات فراغهم . وهنا أتوه بأن وقت الفراغ هذا يجب أن يكون كافيا ليتمكن فيه المتطوع من القيام بعمل منتج ، فاذا لم يجد الشخص سعة من الوقت فليترك هواية الخدمة الاجتماعية لمن يجد الوقت الكافي لها ، وذلك لأن أعمال الخدمة الاجتماعية أعمال دقيقة ، ولكي تنتج النفع المرجو منها يجب أن تؤدي على الوجه الأكمل ويكفي أن أسرد هنا بعض الأمثلة ليعلم القارئ مبلغ أهميتها .

فأول مثل أضربه لأعمال الخدمة الاجتماعية هو التطوع لجمع المال ، وقد يظن لأول وهلة أن هذا لا يحتاج الى دراسة أو دراية أو سرانة ، والواقع على عكس ذلك تماما ، إذ يجب على المتطوع أو المتطوعة أن يكون ملما بالأسس التي يقوم عليها المشروع الذي يجمع المال من أجله ليتمكن من إقناع الجمهور بأهميته ، ويجب أيضا أن تكون له شخصية قوية جذابة تعينه على التأثير في الجمهور ، وعليه أيضا أن يتكر الوسائل المختلفة لجمع المال المطلوب بما يتماشى مع العصر والمناسبة والبيئة التي يدعوها الى الاكتتاب ، ولعل من أمهر ما رأيت أخيرا في التفنن في وسائل جمع المال هو بيع أقلام رصاصية قامت به إحدى الجمعيات الاجتماعية النسائية في القاهرة بمن بسيط يغطي تكاليفها ويدر ربحا للجمعية وذلك ، بعد أن نقش على القلم اسم هذه الجمعية وفي هذا — فضلا عن جمع المال بطريقة سهلة — دعاية طيبة للجمعية .

وقد أعجب بهذه الفكرة كثيرون لدرجة دفعتهم الى شراء القلم الواحد بمبلغ ٣٥ قرشا .

ومثل نان لنا يمكن أن يقوم به المتطوع أو المتطوعة ، هو المساهمة في جمع المعلومات الخاصة ببعض الأبحاث العلمية ، مثال ذلك البحث الذي قام به أستاذ علم التغذية بكلية الطب خاصا بموضوع دراسة التغذية بين بعض أهالي القاهرة . فقد ساهم في جمع المعلومات الخاصة بهذه الأبحاث عدد من المتطوعين والمتطوعات الذين نالوا قسطا من الدراسة في مسائل الخدمة الاجتماعية ، وقد يظن البعض أن جمع مثل هذه المعلومات أمر بسيط ، والواقع أنه صعب للغاية خصوصا اذا كان في البيئات غير المتعلمة التي لا تفهم الغرض من هذه الأبحاث والتي يدفعها الجهل الى النظر بعين الريبة والشك الى كل ما يتعلق بها ، ويدفعها ذلك الى الإدلاء ببيانات كاذبة ، وفي كثير من الاحيان متضاربة ، والمتطوع ذو الشخصية القوية والذي درس شيئا عن العوامل المختلفة التي تؤثر في البيئة وفهم العوامل المتضاربة التي تحيط بالأسرة من

نفسية ومادية ومالية، يستطيع أن يكتسب ثقة الافراد الذين يريد الحصول منهم على معلومات دقيقة ويمكنه بذلك أن يصل الى نتائج قيمة مفيدة .

مثل ثالث لما يمكن أن يقوم به المتطوعون والمتطوعات ، هو المساهمة في المؤسسات الاجتماعية والرياضية ، فهناك كثير من الملاجئ وخصوصا الملاجئ التابعة لهيئات خصوصية يمكن العمل فيها ومساعدة الفتيين القاطنين بها ، ولكن يجب على المتطوع أن يعد نفسه لمثل هذا العمل إعدادا صحيحا بالدراسة والتحرير — كما سبق القول — وعليه أن يلم بأعمال الملاجئ والغرض منها ، وعليه أيضا أن يعرف الكثير عن حياة الطفل وتطوراتها وعوامله النفسية ونزعاتها ، كما يجب أن يعرف شيئا عن الألعاب المختلفة والغرض منها ، وكيف أنها تشبع كثيرا من نزعات الطفل ، وكيف يمكن الاستفادة منها في تهذيبه وتقويم أخلاقه ، الى غير ذلك من المواضيع الكثيرة التي تحتاج الى الدرس والتحرير العملي . أما اذا خطر للتطوع أو المتطوعة أن في استطاعة أيهما أن يقوم بهذه الأعمال دون دراسة سابقة فلن يقتصر الأمر على فشله هو وإنما يعترض العمل بالخليل الذي يقوم به الفتيون في الملجأ الى الفشل أيضا ، وفي ذلك الضرر كل الضرر على أعمال الملجأ وعلى صحة المتطوعين والمتطوعات جميعا . وهناك مؤسسات رياضية مثل الأندية الشعبية التي تسعى وزارة الشؤون الاجتماعية الى تعميمها ، وهذه تحرب بطبيعة عملها بالمتطوعين ليقوموا بقسط وافرنحو نشر الروح الرياضية في الشعب ، ولا يمكن للتطوع في هذه الأندية أن يقوم بنصيبه على الوجه الأكمل إلا اذا درس ومارس علوم التربية البدنية والكثير من الألعاب الرياضية المفيدة قبل أن يحاول أن ينشر تلك الألعاب بين طبقات الشعب وأن يثب فيه الروح الرياضية الصحيحة . ويسرني جدا أن أتوه هنا بمجهود بعض هذه الأندية المتواضعة والمتطوعين فيها ، لا في سبيل تعليم أبناء الشعب الألعاب الرياضية نفسها وحسب بل في سبيل بث الروح الرياضية التي أرى أنها أهم بكثير من مجرد إتقان الألعاب .

ومثل رابع لما يمكن أن يقوم به المتطوع والمتطوعة وهو الإسعاف ، إسعاف الجرحى والمرضى وإعادتهم الى حياة صحية سعيدة ، ولعل نصيب المتطوعات في هذا أهم بكثير من نصيب المتطوعين وكلاهما على كل حال يحتاج الى دراسة علمية وعملية وإلى تنمية الشخصية حتى يطمئن المريض الى المتطوع ، فيستطيع أن يقوم بذلك العمل الخيري على الوجه الأكمل .

ولعل أحسن مثل أختتم به كلامي هو ذكرا الأعمال التي تقوم بها جمعية اجتماعية في أمريكا اسمها عصبة الشباب الأمريكي The Junior League of America وهي جمعية مكونة من فتيات الطبقة الراقية هناك ، وكلهن من المتطوعات ، وقد أسست هذه الجمعية سيدة غنية فاضلة من أهالي نيويورك منذ ٢٥ سنة تقريبا . دفعها الى ذلك ميلها الى مسائل الخدمة الاجتماعية من جهة ، وحالة فتيات الطبقة الراقية من جهة أخرى ، إذ أنهن بلا عمل ، ويقضين أوقاتهن

في التراور وارتداد المناجر والملاهي قتلا للوقت وفرارا من الملل والضيق. ولقد أحسنت هذه السيدة وأحسن مساعدوها تكوين هذه الجمعية ورعايتها وإدارتها حتى أصبح لها الآن فرع في كل مدينة من مدن الولايات المتحدة، وأصبح من دواعي الشرف العظيم أن تقبل إحدى فتيات الطبقة الراقية عضوا فيها. وحفظا لكرامة الجمعية وسمعتها تتطلب من كل عضو أن تنظر الى عملها بعين الجهد والاحترام فإذا تغيرت عن عمالها ثلاث مرات وقفت عن العمل سنة كاملة، فإذا عادت الى مثل ذلك نظرت الجمعية في فصلها من عضويتها وإحلال أخرى محلها تقدر شرف الانضمام إليها. وأهم أعمال هذه الجمعية هي الخدمة الاجتماعية ومنها العمل في المستشفيات بزيارة المرضى ومواساتهم، والخدمة في مكاتب الاستعلام بها، وإرشاد المرضى الى حجرات العمليات المختلفة، ومنها العمل في الأندية والملاعب ومرآة رعاية الطفل والمراكز الصحية والعيادات الطبية المختلفة وزيارة الأحياء الفقيرة لإرشاد الامهات الى كيفية العناية بأطفالهن. ومن أعمال هذه الجمعية أيضا جمع المال أو التبرع به ودراسة أفضل النواحي لصفه، ويجتمع أعضاء هذه الجمعية الأهلية في هيئة مؤتمر مرة في السنة لبحث ودراسة المسائل الاجتماعية المختلفة وأحسن الوسائل العملية لحل مشكلاتها، ومن المهم أن أرين أنه يطلب الى كل عضو - وجميع الاعضاء متطوعات كما ذكرت آنفا - ان تدرس مواضيع الخدمة الاجتماعية قبل طلب الانضمام إليها.



الآن وقد بينت الوضع الصحيح لموضوع التطوع، فهل أوامل أن أرى إقبالا جديدا على التطوع في أعمال الخدمة الاجتماعية، إن يعد الشباب أنفسهم لإعدادا كافيا لهذه الأعمال ثم يساهموا فيها بنصيب وافر؟ هذا ما أرجوه وهذا ما تنتظره البلاد. وفقنا الله جميعا الى ما فيه الخير والصواب

كمال الدين فهمي